اطلع عليه من آداب القوم ، بل من آداب الغربيين جميعاً ، فقد قرأ وترجم للامرتين ، كما قرأ وقلَّد لافونتين ، وأيضاً فإنه قرأ ڤيكتور هيجو وقلده فى عنايته بالتاريخ والتمثيل ، كما قرأ راسين وكورنىّ وغيرهما من الكلاسيكيين ، وقرأ شكسبير وأفاد منه فى مصرع كليوباترا . فالتيار الأوربى كان يجرى فى نفسه ، وكانت تظهر منه تأثيرات مختلفة فى أعماله وآثاره ، ولكنه لم يوغل فى ذلك ولم يتعمق فيه ، وبذلك كان هذا التيارُ أضعفَ فى صناعته من التيار القديم ، وخاصة من حيث الصياغة والأساليب والقوالب التى يصبُّ فيها شعره .

وتقدمنا نبحث فى المؤثرات المختلفة التى أثرت فى صناعة شوقى ، فوقفنا عند النقاد وتأثيرهم فيه ، ولاحظنا أنه بدأ حياته الفنية فى عصر لم يكن يسود فيه إلا نقد جاف ، لا نضرة فيه ولا جمال ، لأنه نقد لغوى يعتمد على البلاغة البالية القديمة . وصبَّ هؤلاء النقاد عليه جامَ سخطهم ، إذ رأوه يجدد فى بعض المعانى ، وحمل عليه المويلحى واليازجى حملات منكرة ، ووقفا كأنهما شلالان كبيران يريدان أن يعترضا النهر ويحتجزا فيضانه . وخلَفَ هؤلاء النقاد فى القرن العشرين جيلٌ جديد تزود بالنقد الأوربى ، وفتح نوافذه على الأدب الغربى ، وثار ثورة محققة فى عالم الشعر والفن ، ولم يكن يعجبه تردد شوقى بين القديم والجديد ولا ما انزلق إليه من مدائح . وقاد هذه الثورة عبد الرحمن شكرى والمازنى والعقاد ، وشُغف الأخير بالتصدى لشوقى منذ أخرج مع المازنى الرسالة المسماة باسم « الديوان » وشاركه طه حسين فى حملته بعد رجوعه من البعثة سنة ١٩١٩ إلا أنه لم يعنف فيها عنفه .

وقد تحدثنا عن آثار الجيلين من النقاد فى صناعة الشاعر ، وناقشنا الجيل الجديد فى كثير من قضاياه ، ووضَّحْنا ما فيها من خطأ أو تحامل . ومضينا فتحدثنا عن مؤثر مهم أثر فى صناعة شوقى ، وهو الجمهور والصحف ، وهو مؤثر لم يكن معروفاً فى القديم ، إذ كان الشعراء من مثل المتنبى لا يعرفون سوى الأمير وحاشيته ، أما الشعب فهم لا يعرفونه ولا يتصلون به ، ولكن تطورت الحياة فى القرن التاسع عشر ، وظهرت الصحف التى توجَّه للشعب

أو الجمهور ، وأخذ الشعراء يذيعون فيها شعرهم. وكان لذلك أثره العميق فى شوقى وغيره من معاصريه ، إذ أخذوا يعنون بالجمهور عناية شديدة . واتضح ذلك عند شوقى فى أشعاره التى وجهها إلى الخلافة التركية ، وكانت أوربا أعلنت عليها حرباً صليبية ، فكان ذلك يؤذى العرب والمسلمين . واستغلّ ذلك شوقى فغنّاهم تركيات كثيرة ،ولم تكن هذه التركيات تُنْشَدُ بين يدى الخليفة كما كان يصنع الشعراء السابقون ، فالخليفة التركى لا يعرف العربية ،وإنما كانت تُذاع على العرب والمسلمين فى صحفهم إرضاء لعواطفهم قِبَلَ الخلافة .

ولفتت هذه التركيات شوقى إلى التغنى بالعاطفة الدينية ، فنظم مدائحه فى الرسول الكريم ، ووقف مع إخواننا المسيحيين فغناهم نغماً مسيحياً كثيراً يرضيهم ، واستهدف لبعض أنغام عربية ووطنية . حتى إذا رجع بعد المنفى تحول جملة إلى العواطف الوطنية والعربية يَصْدر عنها فى شعره ، وكل ذلك ابتغاء رضا الجمهور الذى يقرأ شعره فى الصحف السيارة .

وهذا المؤثر فى صناعته اقترن به مؤثر آخر هو المناسبات المهمة من أعياد عباس ومن المخترعات والحوادث الكبرى ، فلم يترك مناسبة مهمة دون أن يسجلها . ويتوسع شوقى فى ذلك فلا يترك فرصة من تهنئة أو موت عظيم أو ظهور اختراع أو إنشاء مؤسسة وطنية إلا ويصدح فيها بشعره ، وكأنما أصبح صحفياً خالصاً ، فهو يؤدّى للناس الأخبار والأحداث فى قصائده الساحرة التى تنبض بالحيوية الدافقة . وبذلك انتهى بهذا اللون من شعر المناسبات إلى الذروة العليا ، ولم يبق له من بعده إلا أن ينحدر ،وقد انحدر فعلا ولم يعد يُرْضى أذواقنا .

وبجانب هذه المؤثرات الثلاثة أثّر فيه أيضاً الغناء ، وكانت له أذن موسيقية رائعة ، فما زال يتبع المغنين ، وكلما توفّى كبير منهم صاغ فيه مراثيه ، حتى خلص له منهم محمد عبد الوهاب ، فاصطفاه لنفسه ، وألف له مجموعة من الأدوار والأزجال ، لا تزال تدور على كل لسان .

وذهبنا بعد ذلك نبحث فى مسرحياته ، فتحدثنا عن مقوماتها العامة ومدى تأثره فيها بالمدارس الغربية من كلاسيكية ورومانتيكية ، ومدى انفصاله

عن هذه المدارس . ولاحظنا ثلاثة تيارات تجرى فى مآسيه ، وهى التيار الفكاهى ، والتيار الأخلاقى ، ثم التيار الغنائى إذ كان يزاوج فيها بين الغناء والتمثيل ، فطُبعت بطوابع غنائية كاملة ، سواء فى كثرة القصائد والأناشيد التى تتخللها ، أم فى نظام الشعر وأوزانه وقوافيه ، أم فى لغتها وموادها التصويرية .

وقسمنا هذه المآسى قسمين : قسما مصريا ألفه مراعياً للعواطف الوطنية ، ويشتمل على ثلاث من مآسيه ، وهى : مصرع كليوباترا وقمبيز وعلى بك الكبير ، وقسماً عربياً ألفه مراعياً للعواطف العربية والإسلامية ويشتمل على ثلاث أخرى هى مجنون ليلى وعنترة وأميرة الأندلس . وحللنا كل مأساة من هذه المآسى تحليلا مفصلا ، ذكرنا فيه محاسنها وعيوبها التمثيلية . وختمنا هذا الفصل بحديث عن ملهاة « الست هدى » وهى تحفة ثمينة بين مسرحيات شوقى السبع ، وبها تنتهى هذه الدراسة .

٢

تعقيب

لم نتحدث فيما مرَّ من صحف عن روايات أو قصص نثرية ثلاث ألَّفها شوقى فى مطالع حياته الأدبية فى أثناء وظيفته بالقصر ، وهى على التوالى : عذراء الهند ، ولادياس أو آخر الفراعنة ، وورقة الآس . وكلها أعمال أدبية غير تامة ، وكأن شوقى كان يمرِّن نفسه على عمل القصة .

وصنع حينئذ مسرحية لعلى بك الكبير ، ثم انصرف عنها ، وظلت عالقة بنفسه حتى ألف مسرحيته الأخيرة التى تحدثنا عنها فى غير هذا الموضع . ونستطيع أن نقول أيضاً إن قصة لادياس كانت مقدمة لرواية قمبيز وإن اختلفت عنها فى الموضوع ، إلا أنهما جميعاً تناولتا حوادث عصر واحد . وقد استمد شوقى فى « عذراء الهند » من تاريخ مصر القديم لعهد رمسيس الثانى

كما استمد في ورقة الآس من أسطورة فارسية تجعل الملك سابور يستولى على حصن عربى. والقصص الثلاث جميعاً لا نستطيع أن نسميها قصصاً تاريخية إذ أطلق شوقى لخياله العنان فى الشخصيات والحوادث والأدوار .

وهى فى الحقيقة صورة جديدة من القصص الخيالى الذى نقرؤه فى ألف ليلة وليلة ، وبذلك لم يقترب شوقى من الذوق الغربى فى تكوين القصة أو الرواية ، إلا ما قد يعرض له من حب وخيانات . وهو يضم إلى تأثره بألف ليلة وليلة تأثراً آخر يظهر خاصة فى القصتين الأوليين ، وهو تأثر يأتى من اتجاه مقابل لاتجاه القصص الشعبى فى ألف ليلة وليلة ، ونقصد اتجاه المقامة المعروفة عند الحريرى ومن نهج نهجه . فنحن نراه يلتزم السجع غالباً ، وكأنه يكتب قصة تعليمية للنشء ، يعلمهم أساليب البلاغة ، ويضع فى أيديهم تعاويذ السجع والبديع .

ومن هنا سقطت هذه القصص الثلاث بين كرسيين ، فلا هى صارت قصصاً شعبيًّا كألف ليلة وليله ولا هى صارت مقامات كمقامات الحريرى . ويظهر أن طابع المقامات كان قويًّا فى نفس شوقى على نحو ما نرى فى أحاديث بنتاؤور ، وهى نقد اجتماعى صُبَّ أكثره فى قوالب السجع .

وقد يكون أهم عمل له يتطابق مع المقامات كتابه « أسواق الذهب » الذى نشره فى آخر حياته ، وهو يقترب فى اسمه من مقامات الزمخشرى المعروفة باسم « أطواق الذهب » . ويذهب فيه مذهب الزمخشرى من حيث الوعظ والإرشاد . وقد نوَّه به فى مقدمته كما نوَّه بأطباق الذهب للأصفهانى ، قال : « سميت هذا الكتاب بما يشبه اسميهما ، ووسمته بما يقرب فى الحسن من وَسْميهما ، وإنما هى كلمات اشتملت على معان شتى الصور ، وأغراض مختلفة الخبر ، جليلة الخطر ، ومنها ما طال عليه القدم ، وشابَ على تناوله القلم ، وألم به الغُفْلُ من الكتَّاب والعَلَم . ومنها ما كثر على الألسنة فى هذه الأيام ، وأصبح يعرض فى طرق الأقلام ، وتجرى به الألفاظ فى أعنَّة الكلام ، من مثل الحرية والوطن والأمة والدستور والإنسانية ، وكثير غير ذلك من شئون المجتمع

وأحواله ، وصفات الإنسان وأفعاله ، أو ماله علاقة بأشياء الزمن ورجاله ، يكتنف ذلك أو يمتزج بهحكمٌ عن الأيام تلقيّتها ، ومن التجاريب استمليتّها، وفى قوالب العربية وَعيتها، وعَلى أساليبها حَبَّرتها ووشَّيتها » .ويقول شوقى عقب ذلك إن بعض هذه الخواطر كتبها .فى الأندلس والمكاره جارية والدار نائية . وواضح أنه استغلّ طريقة المقامات فى النقد الاجتماعى والعظة والحكمة ، وهو يفتتح مقاماته أو أسواقه بقوله فى الوطن :

« الوطن موضع الميلاد، ومجمع أوطار الفؤاد، ومضجع الآباء والأجداد ، الدنيا الصغرى، وعتبة الدار الأخرى . الموروث الوارث، الزائل عن حارث إلى حارث. مؤسسٌ لبان، وغارس لجان ، وحى من فان ، دواليك حتى يُكسف القمران، وتسكن هذى الأرض من دوران . أول هواء حرَّك المروحتين ، وأول تراب مسَّ الراحتين ، وشعاع شمس اغترق العين . مجرى الصِّبا وملعبه ، وعُرس الشباب ومَوكبه، ومَراد الرزق ومطلبه ، وسماء النبوغ وكوكبه ، وطريق المجد ومركبه . أبو الآباء مُدّت له الحياة فخلد ، وقضى الله أن لا يبقى له ولد . فإن فاتك منه فائت ، ذهب كما ذهب أبو العلاء عن ذكر لا يفوت ، وحديث لا يموت . مدرسة الحق والواجب ، يقضى العمرَ فيها الطالب ، ويقضى وشىء منها عنه غائب . حَقّ الله وما أقدسه وأقدمه ، وحق الوالدين وما أعظمه ، وحق النفس وما ألزمه . إلى أخ تنصفه ، أو جار تسعفه ، أو رفيق فى رحال الحياة تتألفه ، أو فضل للرجال تزينّه ولا تزيفه . فما فوق ذلك من مصالح الوطن المقدمة ، وأعباء أماناته المعظمة ، صيانةُ بنائه ، والضنانة بأشيائه ، والنصيحة لأبنائه ، والموت دون لوائه . قيود فى الحياة بلا عدد ، يكسرها الموت وهو قَيْدُ الأبد » .

ويستمر شوقى فى هذا النغم ، ويخرج إلى الجندى المجهول وقناة السويس والشمس والموت والشباب والخير والقلم وشاهد الزور والمال والأهرام والأمس واليوم والغد والمسجد الحرام والصلاة والصوم والزكاة والحج والجمال والأمومة والكاتب العمومى والزهرة والساقية . وهو فى كل ذلك يرصف

أسجاعاً وجملا متقابلة ، لا تختلف فى شىء عما نقرأه فى كتب المقامات .

فإذا قلنا إن أسواق الذهب نهاية من نهايات المقامات لم نكن مغالين ولا مبعدين . ومع ذلك فالمقامات أخف منها روحاً ، ونقصد مقامات الحريرى مثلا ، إذ نراها تختلف عن مقامات شوقى ، فهى لا تقف عند تصوير المعانى فحسب ، بل تصور أشخاصاً فى العادة ، والأساس فيها أديب متسول يقع الناس فى حبائله ، وفى أثناء ذلك تُعْطِى صورة دقيقة طريفة للمجتمع وأهله .

فشوقى لم يكن موفقاً حين حاول أن يحتذى على أمثلة المقامات ، والحقيقة أنه خُلق شاعراً ولم يخلق ناثراً ، وقد رأينا مسرحيته أميرة الأندلس النثرية تضعف عن زميلاتها الشعرية لنفس هذا السبب ، إذ بناها على النثر ولم يبنها على الشعر . وقد ألحق أسواقه بمجموعة من الخواطر تجرى مجرى الحكم والأمثال ، وليس فيها عمق ولا دلالة نفسية على أحواله ، وإنما هى جمل يمكن أن تُؤْثَر لجمال صياغتها لا لجمال فكرتها . ومهما يكن فقد أدّى شوقى بشعره ما لم يؤده بنثره ، وكان له فيه القِدْحُ المُعَلَّى بين أبناء عصره .

فهرس الموضوعات

	صفحة
مقدمة	٥—٧
الفصل الأول : الحياة	٩—٤٢
(١) فى حجر ربة الشعر	٩
(٢) فى القصر	١٦
(٣) فى المنفى	٣١
(٤) فى الفضاء الطليق	٣٦
الفصل الثانى : الصناعة	٤٣—٩٤
(١) مكونات الصناعة	٤٣
(٢) بين البديهة والتنقيح	٥٨
(٣) تيار قديم	٧٢
(٤) تيار جديد	٨٤
الفصل الثالث : المؤثرات	٩٥—١٧٣
(١) النقاد	٩٥
(٢) الجمهور والصحف	١٢١
(٣) المناسبات	١٥٠
(٤) الغناء والمغنون	١٦٤
الفصل الرابع : المسرحيات	١٧٤—٢٧٦
(١) مقومات فى المسرحيات	١٧٤
(٢) مآس مصرية	١٨٦
(٣) مآس عربية	٢٢٧
(٤) ملهاة	٢٦٦
خاتمة	٢٧٧—٢٨٥
(١) تلخيص	٢٧٧
(٢) تعقيب	٢٨٢

كتب للمؤلف مطبوعة بالدار

فى الدراسات القرآنية

* سورة الرحمن وسور قصار
عرض ودراسة
الطبعة الثانية ٤٠٤ صفحات

فى تاريخ الأدب العربى

* العصر الجاهلى
الطبعة الحادية عشرة ٤٣٦ صفحة
* العصر الإسلامى
الطبعة العاشرة ٤٦١ صفحة
* العصر العباسى الأول
الطبعة التاسعة ٥٧٦ صفحة
* العصر العباسى الثانى
الطبعة السادسة ٦٥٧ صفحة
* عصر الدول والإمارات (١)
الجزيرة العربية – العراق – إيران
الطبعة الثانية ٦٨٨ صفحة
* عصر الدول والإمارات (٢)
مصر – الشام
الطبعة الأولى ٨٤٨ صفحة

فى مكتبة الدراسات الأدبية

* الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
الطبعة العاشرة ٥٢٤ صفحة
* الفن ومذاهبه فى النثر العربى
الطبعة العاشرة ٤٠٠ صفحة
* التطور والتجديد فى الشعر الأموى
الطبعة السابعة ٣٤٠ صفحة
* دراسات فى الشعر العربى المعاصر
الطبعة السابعة ٢٩٢ صفحة
* شوقى شاعر العصر الحديث
الطبعة العاشرة ٢٨٦ صفحة
* الأدب العربى المعاصر فى مصر
الطبعة الثامنة ٣٠٨ صفحات
* البارودى رائد الشعر الحديث
الطبعة الرابعة ٢٣٢ صفحة
* الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية
الطبعة الرابعة ٣٣٦ صفحة
* البحث الأدبى : طبيعته – ومناهجه – أصوله – مصادره
الطبعة السادسة ٢٧٨ صفحة
* الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور
الطبعة الثانية ٢٥٦ صفحة

فى الدراسات النقدية

* فى النقد الأدبى
الطبعة السادسة ٢٥٠ صفحة
* فصول فى الشعر ونقده
الطبعة الثانية ٣٦٨ صفحة

فى الدراسات البلاغية واللغوية

* البلاغة : تطور وتاريخ
الطبعة السادسة ٣٨٠ صفحة
* المدارس النحوية
الطبعة الخامسة ٣٧٦ صفحة
* تجديد النحو
الطبعة الثانية ٢٨٢ صفحة
* تيسير النحو التعليمى قديماً وحديثاً مع نهج تجديده
الطبعة الأولى ٢٠٨ صفحة

فى مجموعة نوابغ الفكر العربى

* ابن زيدون
الطبعة الحادية عشرة ١٢٤ صفحة

فى مجموعة فنون الأدب العربى

* الرثاء
الطبعة الثالثة ١٠٨ صفحات
* المقامة
الطبعة الخامسة ١١٢ صفحة
* النقد
الطبعة الرابعة ١١٢ صفحة
* الترجمة الشخصية
الطبعة الثالثة ١٢٨ صفحة
* الرحلات
الطبعة الثالثة ١٢٨ صفحة

فى التراث المحقق

* المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد
الجزء الأول - الطبعة الثالثة ٤٦٨ صفحة
الجزء الثانى - الطبعة الثالثة ٥٧٢ صفحة
* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد
الطبعة الثانية ٧٨٨ صفحة
* كتاب الرد على النحاة
الطبعة الثانية ١٥٠ صفحة
* الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر
الطبعة الثانية ٣٥٦ صفحة

فى سلسلة اقرأ

* مع العقاد
الطبعة الرابعة
* البطولة فى الشعر العربى
الطبعة الثانية
* معى
الطبعة الثانيه
* الفكاهة فى مصر
الطبعة الثانية

رقم الإيداع	١٩٨٦ / ٣٩٧٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-١٧١٤-X

١ / ٨٧ / ١٦٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

هذا الكتاب

يصور لنا المؤلف شاعر العربية الأكبر من جميع نواحيه ، إنه يحدثنا عن حياته ، وعن مكونات صناعته الشعرية ، وعن مواقف الشاعر بين التيار القديم والتيار الجديد، ثم يحدثنا عن موقف النقاد من شوقى وموقف شوقى من النقاد ، كما يحدثنا عن شوقى الشاعر المسرحى فى المأساة المصرية والعربية وفى الملهاة . . .

إن هذا الكتاب الرصين ليس دفاعاً عن شوقى وإنما هو بحث منظم فى شعره الغنائى التمثيلى .

٧٠ / ٤٢٥٦

ص
٤٩٠